

ترياق المسامحة

من أصعب الأشياء على قلب الإنسان المغفرة والمسامحة، وخاصة عندما يكون الجرح كبيراً. من هنا قال الله: ما هو غير مستطاع عند البشر مستطاع عند الله.

الكلام عن الغفران والمسامحة كثير في الإنجيل ويأتي شرطاً في صلاة الأبانا. وقد فاضت الكنيسة بمنافع المسامحة منذ القدم بلسان أبائها القديسين مما يأتيه الغفران بالسلام والراحة إلى القلب والنفس، وها هو الطب يؤكد هذه المنافع باختبرات علمية وملموسة ويطلب طبيًا من المجروحين التقدم إلى المسامحة والإبتعاد عن الحقد والضغينة لراحة أجسادهم والتخلص من الإضطرابات النفسية التي تثقل على ذهن الإنسان وتعرضه لكثير من الأمراض المختلفة.

أولاً أجمعت الدراسات عن كثب أن المجروح أو المغدور أي الضحية يتخذ بالإجمال من المعتدي عليه إحدى هذه المواقف الثلاثة:

- 1- يحقد ولا يعود يسامح أبداً ويسعى إلى الإنتقام بشتى الوسائل، وقد يموت في حقه لأن الحقد يجتر حقدًا أكبر وهكذا دواليك.
- 2- يحاول أن ينسى ولكن يبقى الجرح ينز من وقت لآخر.
- 3- يسامح بالكلية ويتحول جرحه إلى مصدر نعم له وللآخرين.

قد يتوقف البعض عند النقطة الثانية نتيجة خضوعه للأمر وطبعًا عامل الوقت يلعب دوره ولكن طوبى لمن يرتقي إلى الموقف الثالث.

ما يقوله الطب في مفاعيل عدم المسامحة أنه يسجل إرتفاعاً في ضغط الدم، وإزدياداً في دقات القلب، عدا أن كبت الضغينة في القلب له آثار سلبية كثيرة على الصعيدين النفسي والجسدي ووظائف أعضاء في الجسم. فعندما تبقى الأنظمة الفيزيولوجية للجسم مثارة في

شكل قوي، يمكن أن يؤدي ذلك إلى إنهيار جسدي. والعكس هو صحيح فعيش المسامحة يؤثر إيجاباً على القلب والذهن والأعصاب ويجعل من الإنسان إنساناً سعيداً ومنتزناً.

فالأفكار السلبية تولد التوتر العضلي، وإطباق الأسنان يؤدي إلى ألم في الرأس، عدا عن ارتفاع ضغط الدم ودقات القلب وحموضة المعدة والتعب واضطراب النوم. كل ذلك مسيء جداً على المدى الطويل، فهو إنتحار بطيء. (سكتات قلبية...) ولا ننسى طبعاً الإنهيار العصبي والأفكار السوداء. (جريدة النهار 3 كانون الثاني 2009)

وقد أفادت الدراسات أن سيرة حياة الجارحين والمعتدين على الآخرين مليئة بالمآسي والعقد النفسية وكثيرون ينتقمون من طفوليتهم الفقيرة أو الكئيبة أو المظلومة بإعتدائهم على الآخرين وبإعتمادهم وسائل ملتوية ورخيصة للوصول إلى غايتهم مثل الغش والغدر والكذب والنفاق والرياء والحلفان الكاذب بالخالق وبالمقدّسات وحتى بأعز شيء لديهم وقد يحلّلون لأنفسهم بفكرهم المريض أساليب شريرة مختلفة ومتعددة لا تخطر على بال أحد ليعوّضوا عن حرمانهم. وتكمل الدراسات أن مثل هؤلاء الأشخاص يظهرون ودعاء من الخارج وقد يغشّون كثيرين لكنهم في الحقيقة يخفون قلوباً تنن بالأمرض النفسية وكثيراً ما يلجأون إلى الهرب وعدم المواجهة والتكلم بصوت منخفض وتجنب النظر في وجوه الآخرين، ومن أحسن مراقبتهم لأكتشف فيهم الخبث والنفاق بإمتياز.

كما تؤكّد الدراسات أن هؤلاء الأشخاص بالرغم من سلامهم الخارجي المزيف هم تعساء لا سلام في قلوبهم، وقد يُشفى المجرّوح ولا يُشفى الجارح إن لم يرجع هذا الأخير إلى الله ويكشف له عن ذاته بالكليّة.

ما العمل إذاً؟

الحل في المسيحية مضمون لكنّه يتطلّب جهداً وصبراً. قد يبكي الإنسان جرحه دماً، كما قد لا يفهم لماذا الله يسمح بتعرّض الإنسان للإساءة، وسؤالات أخرى تطرق على ذهنه، ولكن ما من عبد أفضل من سيّده. وصلب يسوع خير دليل على ذلك. فالشر موجود في هذا الكون وهو ليس من عمل الله بل من إختصاص الشيطان، والذي يجرح الآخرين عن قصدٍ ولا يتوب بل يفرح بأذيته أصبح خادماً للشيطان حتى لو لم يدرك ذلك. فالحل هو في الصلاة والصلاة الحارة جداً والإلتصاق بالرّبّ والتمثّل بحياة القديسين وقرأة سيرتهم للتعلّم منهم وطلب شفاعتهم وعلى رأسهم والدة الإله. فبعد الصليب القيامة، وبعد الدفن القبر الفارغ.

هل المسامحة هي نسيان؟

لا، المسامحة هي تعالي بالنعمة الإلهية على الجرح وليس فقداناً للذاكرة. وعلى الإنسان أن يتعلّم من الجراح كي لا يقع في مثلها. ولكن ما يختلف هو موقف القلب وأحاسيسه والإشعاعات المنبثقة منه. والمسامحة تختلف كل الإختلاف عن تسهيل الإساءة أو التعامل معها بغباوة. المسامحة هي قلب تخطى الجرح ليعانق السماء. والغفران هو إرتقاء سلّم الصليب ليصل إلى جنب السيّد المطعون عندها فقط يتلفظ بكلام السيّد: أغفر لهم يا أبتاه لأنهم لا يدرون ماذا يفعلون.

فعلى المسيحي الصادق أن ينظر بعين الرحمة إلى الآخرين ويطلب المعونة من الله ويعرف أن لا تعزية له في هذا الكون إلاّ نعمة الثالوث القدس وبقبول السيّد المسيح أي الرّبّ يسوع في قلبه الذي لا يقبله قبلة غاشة وهو وحده يمكن أن يبلمس جراحه ويشفيه ويعزيه لأن الله محبة ومحبه صادقة وأمينة. آمين.